المحاضرة العاشرة:

الاتجـاه النقدي السوريـالي

تمهيد:

لقد ظهر "**الاتجاه النقدي السوريالي**" ضمن الحركة النقدية الحديثة، بعد **الحرب العالمية الأولى**، كحركة مضادة **للمذاهب الفكرية/ الأدبية/ النقدية**، التي كانت سائدة في تلك الفترة، بحيث: «انطلق التيار السوريالي معاديا لمفهوم الفن للفن، ورفض عقيدة الثورة للثورة، حتى إن الذين يظنونه واحدا من هذين المنظارين، يكونون جاهلين لغايته الأصلية»[1]، مما يعني في جانب آخر أنها تمثل **حركة فكرية/ أدبية/ نقدية حديثة**، هدفها **التعبير عن الفكر النقي/ الأصيل**، مستبعدة في الوقت نفسه كل منطلق جمالي وكل هَمٍّ أخلاقي، لذلك فإن مفاهيمها تطورت كما أن معانيها تعددت واختلفت، بحيث إنها تصب في إطار دلالي أساسي: " **تحقيق الإنسان الأصلي** "، الذي ضاع في متاهات الحرب المدمرة، التي عاشتها الإنسانية، هذا ما جعل القيم تتدنى وتنحط، ومن ثمة أحيطت الحياة الإنسانية بالشر والأشرار، والرعب والدمار، والعنف والابتزاز، فعاش الأفراد حياة بشعة ملؤها: مجازر وكوارث وفضائع ودمار وقهر..، كل ذلك أدخل الإنسانية في محن كبيرة، أفقدت الأنفس الثقة في كل ما كانوا يعتنقونه من قبل، أي خاب ظنهم في الكائن، وحتى في الممكن، ذلك أن الوجود

---

[1]– إيڤون دوبليسيس: السوريالية، تر: هنري زغيب، منشورات عويدات، ط1، بيروت، 1983، ص: 07.

البشري تبعثر وتصدع، ومن ثم تمكن اليأس في أنفسهم، مما جعلهم يتوسلون في فهم ذواتهم الفكرية أو في حل معضلاتهم الثقافية والفنية بأشياء أخرى غير تراثهم العريق والحديث. ومن خلال هذه الحالات الحرجة والموجعة، ظهر نفر من المبدعين: **أندري بريتون/ لويس أراغون/ رامبو** وغيرهم..، مهدوا لظهور **الاتجاه السوريالي** في تلك الفترة الحرجة، حيث إنهم أعلنوا عن تمردهم على الوضع البشري المزري، كما رفضوا التأقلم مع الخبث السوسيو ثقافي، وكان من نتائج ذلك أن برزت عندهم نزعة تحررية بامتياز، دعت إلى: « تحرير الغرائز والرغبات المكبوتة في النفس البشرية، وإشباع هذه الرغبات والغرائز إشباعا طليقا لا يخضع لأي قيد ولا تردعه أية مواضعات المجتمع »[1]، فهذا لا يعني في جانب آخر أن السوريالية اقتصرت على تشخيص جوانب الحياة الاجتماعية، بل تجاوزتها إلى تعاطي الفكر/ الأدب/ النقد، محاولة في ذلك معالجة كل القضايا الفكرية والأدبية ضمن الحركة النقدية الحديثة.

صحيح أن التوجه السوريالي/ ما فوق الواقعي/ ما وراء الواقع/ اللاواعي، توجّه يريد أن يتخطى كليا مجريات الحياة الواقعية، اعتقادا منه أن ما فوق هذا الواقع، واقع أكثر فعالية، إنه واقع اللاوعي، فعوض: « الفضيحة/ الثورة حل محلهما البحث حول ما هو فوق الواقع، وتصدره بريتون وفيليب وسويو، ومن ثم بدأت الحركة السوريالية باستكشاف حقول اللاوعي »[2]. مما يعني في جانب آخر

---

[1]– عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي الحديث، ص: 253.

[2]– إيڤون دوبليسيس: السوريالية، ص: 17.

أهم تجاوزوا الرؤى الفكرية/ الأدبية/ النقدية السابقة والسائدة في الساحة الفكرية النقدية الحديثة.

- **الملامح السوريالية في الإبداع:**

لقد ركز رواد التوجه السوريالي على مستوى الإبداع الأدبي، منح المبدع حرية مطلقة في التعبير عمّا في عقله الباطني، دون حاجز أو تحفظ، مما يجعله غير مكترث بما سيحدث، سواء على مستوى العوالم الكائنة أم الممكنة، من قبيل: اليقظة/ الحلم، العقل/ الجنون، الوعي/ اللاوعي وغيرها، متجاوزا لمختلف القيم التي اتفقت عليها المذاهب الفكرية والنقدية من قبيل: التناسق/ التماسك/ الترابط، التي تشكل العناصر الفنية للعمل الأدبي وبالمقابل – حسبهم – أنه ليس من الضروري على المبدع أن يستكمل تشكيل عمله الإبداعي، بل عليه أن يترك فضاءات شاغرة، تستدعي هي الأخرى، ملأها بما يوافق قريحته، ذلك أن هدفهم في النهاية إعطاء العمل الإبداعي بعدًا: « إيحائيًا وإثارةً ذلك أنهم لا يحفلون كثيرًا بأن يضع الكاتب خاتمة لقصة/ مسرحية، وإنما يتركون للمشاهد/ القارئ مهمة تصور الخاتمة التي يريدها والتي ترسمها قواه النفسية المثارة أو المطلقة من كبتها »[1]. وأما على مستوى الإبداع الأدبي، فقد نظروا إلى الأوزان والقوافي في الشعر، كما أن الأساليب البلاغية والمواضعات الأدبية في النثر تُشكل حواجز بارزة ضمن مسارات الإبداع الأدبي، بحيث تقتل أحاسيس وتطلعات المبدع بطريقة أم بأخرى، لذلك ركز السورياليون على أهم العناصر التي تضع فنيات وجماليات العمل الأدبي صناعة سوريالية، من قبيل: الدعابة/ الحلم/ العجب/ الجنون وغيرها

[1]– عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ص255.

وهي أطر موضوعاتية، تضع جمالية الخطاب السوريالي ضمن مختلف الأعمال الأدبية والفنية.

صحيح أن **التوجه النقدي السوريالي**، غالى وتطرّف في تشبّثه بعنصر " اللاوعي" في العملية الإبداعية، لكن وفي جانب آخر قدم للحركة الأدبية والنقدية الحديثة رؤية جديدة قادت روادها إلى التحرر/ التحلل من نمطية العقل الواعي في التعبير والسطحية في التشكيل للإبداع. كل هذا جعلهم يمتطون سبل العقل الباطني، المليء بالإبداع، الذي شكل مرجعية لكل المذاهب المختلفة، في فهم وتفسير السلوكات الإنسانية والاجتماعية والثقافية، لذلك كانت: « أولى مكتشفات السورياليين حول نشاط اللاوعي، أعطتهم الأمل بالتوصل إلى جذور الذات »[1]، في تفاعلها الروحي والإبداعي، لذلك فإنه لم يلبث طويلا في تطرفه، حتى اعتدل وأصبح أكثر تناولا بين الأدباء والنقاد، وهذا ما عكسته بعض الأعمال الأدبية والفنية الفرنسية، لكل من: **كوكتو وبيكاسو** وغيرهما. لكن هذا لم يمنع بعض البحاثة من استبعاد الاتجاه السوريالي من دائرة النقد الأدبي، من منطلق أنه يفتقد لأرضية فكرية نقدية واضحة المعالم، وقائمة على مبادئ نظرية ومقولات إجرائية،

ومما سبق يمكن القول أن رواد الإتجاه النقدي السوريالي قد اكتسحوا الساحة النقدية الحديثة بمختلف منجزاتهم النقدية المختلفة،لكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى غُلوهم في إطلاق العنان لمختلف المكنونات القابعة في الروح النفسية،

---

[1]– **إيڤون دوبليسيس: السوريالية، ص: 102.**

ومن ثمة تمثلها أدبيا وفنيا دون قيد أو حاجز يذكر، ذلك أن الإحجام عليه يعود إلى: «عدم التقيد بالأصول والقواعد، بحيث إنه قام على استنكار ورفض لكل ما سبقه من المذاهب الفكرية والأدبية التي بُنيت على أصول وقواعد »[1]. لذلك فإن الحديث عن مختلف الاتجاهات النقدية، يجرنا إلى ضرورة الإشارة إلى أهم المناهج النقدية التي سادت الساحة النقدية الأدبية الحديثة وكذا تحديد الغاية الوظيفية للنقد الأدبي، لذلك فإن وضع أي حدّ مفهومي ضمن هذا الإطار قد لا يعني أن يكون شاملا وكاملاً كما هو بالنسبة إلى الحقول العلمية الأخرى، ذلك أن وضع حدود مفهومية نهائية ضمن مجال الدراسات النقدية الأدبية الحديثة، يعدّ أمرا مخالفا لطبيعة النقد والأدب على السواء،مما يعني في جانب آخر أن وضع مفاهيم لوظيفة النقد هو تحديد للأدوار النظرية والإجرائية لمختلف الطرائق النقدية الأدبية. ومن ثم تتحدد آفاق الغاية التي يريدها النقد/ الناقد من خلال توضيح أبرز السيمات الفكرية/ الجمالية/ الفنية التي يتميز بها اتجاه عن آخر، فمعرفتنا: « لوظيفة النقد وغايته في هذه الحدود التقريبية، أمكن أن نعيّن مناهج النقد التي تكفل لنا تحقيق هذه الغايات »[2].

---

[1]– عبد العزيز عتيق : في النقد الأدبي، ص: 256.

[2]– سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، ط8، القاهرة، 2006، ص: 131.